وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

تحليل النص القرآني

قسم علوم القرآن الكريم
المرحلة الرابعة

أ. م. د.
أوفى مزيد عبد العزيز

التحليل في اللغة وفي الاصطلاح..

التحليل في اللغة: هو مصدر قياسي على زنة (تفعيل) من الفعل الثلاثي المزيد (حلّل- يحلّل) الذي يعود الى الفعل الثلاثي (حلّل) وحلّ الشيء أي فتحه وفكه. قال تعالى: "وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي" طه: ٢٧.

ويقول ابن فارس (الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، واصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يشذّ عنه شيء يقال حلْلت العقدة أحُلُّها حلاً) أي اذا فتحتها. ومثله في المعجم الوسيط إذ يقول: وحلل (الشيء رجعه الى عناصره).

التحليل في الصطلاح: هو إرجاع الجملة الى عناصرها وبيان أجزائها المكونة لها ووظيفة كل منها والتعرف على انواع العلاقات بين مفرداتها مع بقاء الكلمات نفسها في الجمل او الجمل الاخرى.

فالتحليل هو ردّ الشيء الى عناصره الاساسية (الأولية)، أي ردّه الى أصله، فهو تحليل القضايا الى عناصرها المكونة.

ومن هنا نجد ان التحليل هو تجزئة مادة الدرس بغية الوصول الى هدف معين، والغرض من تحليل النص القرآني بيان العناصر المكونة للنص القرآني وتحويل النص الى مكوناته البسيطة بقصد الكشف عن الخصائص الجمالية والاعجازية فيه.

تمهيد للمادة العلمية...

أ- المفهوم اللغوي لكلمة "نص":

١- النص في "لسان العرب" هو اقصى الشيء وغايته، ومنه نصّ الناقة أي استخرج أقصى سيرها. ونص الشيء منتهاه.

٢- وأما في "اساس البلاغة" فهو يفيد الرّفع: فالنصّ رفعك للشيء نصّ الحديث ينصّه نصّاً: رفعه.

٣- وهو في "القاموس المحيط" المنتهى والكمال.

ومن هنا نستنتج أن اكثر ما تدل عليه هذه الكلمة لغوياً هو الظهور والوضوح والاكتمال.

ب- المفهوم الاصطلاحي للنص:

ان المفهوم الاصطلاحي لكلمة :نص" مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر.

فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض.

هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح "نصّ" فالنص هو النسيج لما فيه من تسلسل في الافكار وتوالٍ للكلمات.

الأصول العامة لتحليل النص القرآني

لابد للباحث المحلل للنص القرآني من اعتماد أصول عامة منوعة تعينه على فهم النص الكريم فهما دقيقا شاملاً يتناول أطره المختلفة وصوره المتعددة بما فيها من معانٍ وجمال وأساليب. ويمكن اجمال هذه الأصول العامة بما يأتي:

١- وجوب فهم النص المراد تحليله فهماً جيداً أولاً، في ضوء كتب التفسير ومعاني القران وكتب مفردات القران والوجوه والنظائر في القران وكتب البلاغة وكتب اعجاز القران وما اليها.

٢- ملاحظه (علوم القران) المختلفة المتعلقة بالنص الكريم المراد تحليله من أجل فهمه فهماً سليماُ متكاملاً وذلك بالرجوع الى (أسباب النزول) من حيث أنها تلقي ضوءاً على النص المراد تحليله وتكشف عن ظروفه التي صحبته عند نزوله من حيث الزمان والمكان والاحداث.

٣- دراسة النص المراد تحليله من جانبه اللغوي، بحيث يتناول المحلل ابتداء تفسير (الالفاظ القرانية الغربية) وهي الالفاظ التي تحتاج الى شرح وبيان وهو مايعرف الاصطلاح ب(غريب القران) مثل: الرحمن، ويوم الدين ، والصراط ، والصمد، والقارعة، والواقعة ، وثلة، ومااليها.

وقد الفت في هذا العالم كتب كثيرة قديماً وحديثاً من اشهرها((تفسير غريب القران)) لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) و((تفسير غريب القران)) المسمى نزهة القلوب، لمحمد بن عزيز السجستاني(ت٣٣٠هـ) و((مفردات ألفاظ القران الكريم)) للراغب الاصفهاني(٤٢٠هـ) وهوأفضلها وذلك لما فيه من أبداع في تفسير أغلب الالفاظ القرانيه الغرييه أذ كان مؤلفه بلحظ السياق عند ذلك ،فا متاز بذلك على من سبقه من أصحاب غريب القران .

٤- ملاحظه أثر النص القراني الكريم في دقة استعمال غريب الالفاظ كاستعمال (المائده) للخوان الذي عليه طعام، والا سمي

(خواناً) ولم يسم (مائدة) كما في قوله تعالى على لسان عيسى ((اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء)) المائدة١١٤

ومثله استعمال (صك) للضرب الشديد بدل(ضرب) كما في قوله تعالى((فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)) في قصه أمرة أبراهيم ،مستغربة بذلك ومتعجبة من خبر حملها بولد ، وهي عجوز عقيم، وغير ذلك من استعمالات دقيقة في تعبير القران.

٥- ملاحظه العلاقات الدلالية بين الالفاظ التي في النص القراني المراد تحليله، مثل (الاشتراك)، و(التضاء) و(التقابل)، بنوعيه: تقابل الضد والتفيض، تقابل الخلاف، وكذلك علاقه(الترادف)، سواء أكان ترادفاً تاماً، كما بين (البعل) و(الزوج) أم ترادفاً غير تام، كما بين (اليمن) و(الِحلْف) و (الرؤيا) و(الحُلم) وغير ذلك.

٦- بيان (الدلالة الايحائية) للالفاظ والتراكيب والتعابير القرانية وهي الدلالة التي يسميها(الإضافية) أو (ظل المعنى) وهي من الدلالات ذات القيمة المعنويه العالية الدقيقة في تعبير القران،كايحاء (البغْته) فانه لايستعمل في القران الا في

سياق(العذاب). ومثله الإيحاء الصوتي متمثلاً في جرس اللفظ، كما في (هزّ) و(أمّ) أذا استعمل القران الأول لهز النخلة ،علي حين أستعمل الثاني لهز الشياطين للكافرين، عقوبة من الله تعالى لهم على كفرهم .

ولنا في (الدلالة الايحائية) أكثر من بحث (الجرس والايقاع في تعبير القران)، و(الادلالة الايحائية لطائفة من ألفاظالزمان القران الكريم).

٧- بيان(الادلالة الزمنية) في التعبير القراني، بصورها المتعددة ترمز (الألوان) من بياض وسواد وخضرة وصفرة وزرقة بحسب ماترمز اليه لدى العرب عند ظهور الإسلام ،كذلك رموز الحركات ،كالعض علر اليدين ، وقليب الكفيّن – في الرمز على الندم– ورمز الأصوات من مختلف الحالات النفسية كالتأوه(اه) والتأفُّف (أُفٍّ) في التعبير عن التحسر والتضجر، وما الى ذلك من رموز صوتية.

٨- التأمل في التراكيب المختلفة للنص المراد تحليله من (جانبها النحوي) من أسمية وفعلية وحرفية وظرفية، وما اليها مع بيان علاقة وردها بصورة أخرى- في هذه الصور- بالمعنى المراد التعبير عنه.

٩- الكشف عن (وجوه الصرف) وعلاقتها بالمعنى، ولاسيما ما يتعلق منها بالصيغ، كصيغ(الأفعال)، مثل دلالة (فعل) على مجرد حدوث الفعل لمرة، و(فعّل) على التكثير والتكبير و(فاعل) على المشاركة ، وكذلك للصيغ الأخرى مثل(فعلَلَ) و(أستفعل) وغيرها من الصيغ، أذ لها دلالات معينه كالدلالة على الاضطراب والحركة الشديدة للاولى، وطلب الشيء للثانية، وكذلك صيغ (الأسماء) مثل(فَعِلٌ) للدلالة على المبالغة و(مفعول) كذلك و(فعّال) للتكثير... وغيرها من صيغ ذات دلالات معينه.

١٠- بيان العلاقة (زيادة المبنى) و(زيادة المعنى) كما بين (خِرْج) و(خراج)و(صَرَّ) و(صَرْصرَ) أذ الثانية منها أبلغ من الأولى في المعنى، ولهذا قال سبحانه وتعالى مخاطبة النبي: " أم تسألهم خَرْجاً

فَخَراجُ ربك خيرٌ وهو خيرُ الرازقين" المؤمنين:٧٢ فأضاف الأكثر والاعظم اليه سبحانه وهو (الخراج) دون الخرج .

١١- العناية بعلوم البلاغه الثلاثة: المعاني والبيان والبديع أذ يتعلق بالعلم الأول، وهو (علم المعاني) ظواهر تعبيرية كثيرة، كالتقدم والتأخير،والتعريف والتنكير ، والايجاز بنوعيه: أيجاز الحذف وأيجاز القصر، فمن الأول حذف المبتدأ من الاجملة الاسمية، كما في قوله تعالى "كتاب أُحْكِمَتْ اياته" هود:١ ومن الثاني قوله تعالى" ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب" البقرة:١٧٩ ومن (علم البيان) ما يتعلق بالحقيقة والمجاز، فمن المجاز: التشبيه ، والاستعاره، والكنايه والمجاز المرسل ، وما اليها. وتبغي العناية بفنّ (الالتفات) كذلك، اذ هو فنّ رفيع في تعبير القران وثيق الارتباط بالمعنى، وذلك بالانتقال من ضمير الى اخر في السياق، كانتقاله من الغيبة الى الخطاب قوله تعالى " ما كان الله ليذرَ المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميزَ الخبيث من الطيب" ال عمران:١٧٩ فالتفت بقوله (ماأنتم عليه) من الغيبة في الحديث عن المؤمنين الى الخطاب.

ومن موضوعات علم (علم البديع) الطباق ، والجناس، والتورية، والتقابل، وما اليها.، فهذه كلها ينبغي على المحلل للنص القراني أن يعطيها حقّها من الدرس والفهم والتحليل والتعليل لمعرفه معاني القران المجيد معرفة شاملة وافية، لاتقف عند جوانب دون أخرى ، وأنما يتناول الجوانب كلها.

قواعـــد عامـــة في تحليل النّصوص القرآنيّة

لا بدّ للباحث المحلل للنص القرآني الكريم من اعتماد قواعد عامّة منوّعة ، تعينه على فهم النص الكريم فهمًا دقيقًا شاملاً ، يتناول أطرَه المختلفة وصوره المتعددة بما فيها من معان وجمال وأساليب . ويمكن إجمال هـذه القواعد فيما يأتي ذكره :-

أولاً : قاعدة العناية بلغة العرب : والمراد من هذه القاعدة هو إحاطة الباحث المحلل للنص القرآني الكريم بقواعد اللغة العربية بوجوهها وأساليب بيانها المتعددة ، للوصول إلى المعنى المقصود من النص الكريم .

فاللغة هي المرجع في تعيين المعنى المراد ، وهي المرجع في تمييز الحقيقة من المجاز ، والظاهر من الباطن ، والمجمل من المفصل ، والمطلق من المقيد ..... وما إلى ذلك لأن القرآن جرى على لغة العرب فلا بد من اتخاذ اللغة أداةً ووعاءً لبيان معانيه وتحصيل المعنى المراد .

وهذه القاعدة تنطلق إلى النص القرآني الكريم من وجوه عديدة منها :

أ – النظر إلى السياق في فهم النص : والمقصود من السياق هو (تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال) .

والسياق القرآني على أربعة أنواع هي : سياق الآية وسياق المقطع وسياق السورة وسياق القرآن، فكل نوع من هذه الأنواع داخل في الذي يليه ومبني عليه وهذا من خصيصة التعبير القرآني المعجز الذي لا يوجد في غيره .

ولا بد لمحلل النص القرآني من الأخذ بحجية السياق لأن دلالة السياق أصل أصيل من أصول فهم كتاب الله تعالى، وبإهمالها يضع الدارس قدمه على عتبات الزلل ، ويركب مراكب الخلل ، وتتسم آراءه بالنقص والعلل ، فحينئذٍ يعظم الخطبُ ويحلُ الجلل .

ب – التمييز بين معاني الألفاظ : فالنص القرآني له الدقة الفائقة في اختيار الألفاظ والتمييز بين معانيها كالفارق بين القيام والوقوف والقعود والجلوس والمشي والسير ... ونحوها ، فقد وردت من هذا القبيل العديد من الألفاظ المتشابهة في القران باستعمالات خاصة ، مما يدلُ على الدقة الفائقة في انتقائها ، فمن ذلك استعماله لكلمتي (السنة ، العام) والتمييز بينهما في قصة نوح " عليه السلام " من سورة العنكبوت في قوله : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً) . فقد جاء أولا بلفظ (السنة) وبعدها بلفظ (العام) ولكلا الاستعمالين دلالة خاصة ؟

قال المفسر البقاعي " ت : ٨٨٥هـ" مظهراً دقة هذا التعبير : (وعبر بلفظ " سنة " ذماً لأيام الكفر ... وقال "عاماً" إشارة إلى زمان حياته عليه السلام بعد إغراقهم كان رغداً واسعاً حسناً بإيمان المؤمنين وخصب الأرض) .

ومما تقدم نستنتج الفارق بين اللفظتين هو أن السنة تستعمل في مقام القحط ولمعنى الأزمة وكل ما هو مذموم ، والعام يستعمل في مقام الخير والخصب والرخاء كما ورد في قوله تعالى : { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ } .

ومن الألفاظ التي ميز القرآن بين معانيها هي (الحياة ، المحيا) و(الموت ، الممات) وحين نتتبع مواضع استعمال هذه الألفاظ نجد أن القرآن الكريم يستعمل لفظتي (الحياة ، والموت) مطلقة لعامة المخلوقات للبشر وغيرهم.

أما (المحيا ، الممات) فإن استعمالهما خاص بالبشر فقط ، كما تردد ورودهما في كل مواضع التعبير الكريم .

ومن تلكم الألفاظ أيضا لفظتا (الثعبان ، الحية) والثعبان هو الحية الضخمة المخيفة الطويلة وهو من أعظم الحيات، أما الحية فتطلق على الصغير والكبير والانثى والذكر ، وعلى هذا فإن كل ثعبان حية وليس كل حية ثعبانا .

وقد جاء التعبير الكريم بمفردة الثعبان – بوصفها مخيفة- في مقام الخوف والرهبة ، بخلاف مجيء مفردة الحية ، فقد قال عن موسى عندما كان أمام فرعون وملئه : { فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } فكأن التعبير الكريم هنا ذكر الثعبان لأنه أراد أن يرهب فرعون وملئه ويدعوهم إلى الإيمان .

أما لفظ الحية فقد ورد في موطن واحد من الذكر الحكيم وهو عندما رأى موسى وناداه ربه قائلا : { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى } . فكأنه ذكر الحية لأنه أراد أن يريه قدرته سبحانه وليس الغرض الإخافة ولذا لم يذكر ها هنا أنه خاف أو هرب وإنما قال : { خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى } .

فذكر ~~الحية~~ الثعبان أمام فرعون في مقام الرهبة والخوف وذكر الحية في غير ذلك .

ج – بيان العلاقة بين (زيادة المبنى) و(زيادة المعنى) والكشف عن المقاصد الإلهية الكامنة من وراء وراء زيادة حرف او اقتطاعه سواء أكان الاقتطاع في الاسم او الفعل او الحرف ، ولنا في هذا المجال ان نستشهد بما تشابه استعماله من التعبيرات القرآنية في ضوء هذه القاعدة :

١. { تَفَرَّقُوا ، تَتَفَرَّقُوا } لفظتان متشابهتان ، ورد استعمالهما في التعبير الكريم تارة بزيادة التاء وتارة بحذفها ، فقد قال تعالى في آل عمران[١٠٣] مخاطبا أمة نبينا الكريم : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } بتاء واحدة (تفرقوا) ، وقال في سورة الشورى[١٣] : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } بتاءين (تتفرقوا) وللسائل أن يسأل عن الاختلاف في مبنى التعبير الكريم ؟ .

والسبب واضح لأن الخطاب في آل عمران موجه للأمة المحمدية وهي جزء من الأمم المذكورة في سورة الشورى وهي أقل عددا من تلك الأمم وكذلك هي اصغر الأمم السابقة ، فلما كانت الأمم المذكورة في الشورى كثيرة ومتعددة كثَّر عدد حروفهم ، ولما كان المخاطب في آل عمران أمة واحدة اقلُّ عددا من الأمم السابقة قلل عدد حروفهم ، فناسبت كثرة المبنى كثرة المعنى ، وناسبت قلة المبنى قلة المعنى ، فأعطى الحروف القليلة للأمة الواحدة الصغيرة ، وأعطى الحروف الكثيرة للأمم الأكثر عددا .

٢ . { تَوَفَّاهُمُ ، تَتَوَفَّاهُمُ } فقد قال في سورة النساء[٩٧] : { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } بتاء واحدة (توفاهم) وقال في النحل[٢٨] : { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } بتاءين (تتوفاهم) ، فما السرُّ في الاستعمالين ؟ .

الجواب : هو أن المتوفين في سورة النساء هم جزء من الذين هم في النحل ، فالذين في سورة النحل هم الذين ظلموا أنفسهم على وجه العموم من مستضعفين وغيرهم .

أما الذين في سورة النساء فهم المستضعفون منهم ، وهم قسم من الذين ظلموا أنفسهم فهم أقل عددا ، فلما كان هؤلاء أقل عددا بالنسبة الى الآخرين قلل من عدد حروفهم في اشارة الى الاقتطاع من الحدث ، فقال في القسم الأكبر : (تتوفاهم) بالزيادة ، وقال في القسم القليل : (توفاهم) بحذف احدى التاءين ، فناسبت كثرة المبنى كثرة المعنى .

٣ . { اسطَاعُوا ، استَطَاعُوا } باقتطاع التاء من الأول ومجيئها في الثاني ، مع أن كلا الفعلين وردا في سياق واحد وقصة واحدة هي الحديث عن السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس الذي جاء ذكره في سورة الكهف[٩٧] في قوله تعالى : { فَمَا اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا استَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } وللسائل أن يسأل عن السر في حذف التاء من الأول وذكرها مع الثاني ؟

سبق وأن بينا أن القرآن الكريم يحذف من الكلمة لغرض ، فكما يفعل مع العدد القليل ويقتطع من حروف كلماته فإنه يفعل مع الحدث السهل اليسير ويقتطع من حروفه ، بخلاف الفعل الشاق الطويل فإنه لم يحذف منه بل أعطاه أطول صيغة فيخفف الكلمة ويقتطع من حروفها للأمر الخفيف السهل ، ويُثقلها ويزيد من حروفها لما كان ثقيل وشاق ، ليناسب بين ثقل المبنى وثقل المعنى .

ومعنى (اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) أي : يصعدوه ، ومعنى : (وَمَا استَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) أي : يثقبوا السد الذي صنعه ذو القرنين من الحديد والنحاس وهو عمل ثقيل على الإنسان يتطلب جهدا عضليا ووقتيا حتى يستطيع انجازه ، فكان الصعود هنا أسهل بالنسبة إليهم من ثقب السد ، ولما كان الصعود أسهل وأخف على من يقوم به خفف من حروف فعله فاقتطع التاء ، ولما كان الثقب أثقل وأشق ثقّل الفعل بزيادة التاء ، فناسب بين ثقل العمل وثقل الحروف ، وبين قلة العمل وسهولته قلة عدد الحروف ، وجيء كلّ في موضعه المناسب .

٤ . { خُسر ، خسار ، خسران } كلها أبنية مختلفة الصيغ ، وقد كان لكل واحد منها دلالة خاصة واستعمال خاص في آي الذكر الحكيم ، فقد استعمل التعبير الكريم (الخسر) لعموم الخسارة ، سواء كانت قليلة أم كثيرة فهي لمطلق الخسارة ولذا أعطاها ثلاثة أحرف ، كما قال تعالى : { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } فقد ذكر أن الإنسان واقع في مطلق الخسارة إلا من اتصف بالصفات الاربع المذكورة .

وأما الخسار : فقد استعمله للزيادة في الخسارة . فإذا كان المرء خاسرا وازداد خسرانا على خسارته فهذه الزيادة سماها القرآن خسارا . كما قال تعالى : { وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا } .

أما الخسران : فاستعمله لأكبر الخسارة وأعظمها ولم يستعمله للخسر أو الخسار . قال تعالى : { قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } وقوله تعالى : { خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } .

يلحظ من الأمثلة المتقدمة انه استعمل الخسر لمطلق الخسارة ، والخسار للزيادة في الخسارة ، والخسران للأعظم والأفدح ، فقد زاد الخسار على الخسر بالألف فاستعمل للزيادة في الخسار، وزاد الخسران بالألف والنون فكان لأعظم الخسارة وأبلغها ولذا بناه بـ(٥ أحرف) .

ء- الكشف عن (وجوه الصَّرف) المتعددة وعلاقتها بالمعنى، ولاسيما ما يتعلق منها بالصيغ، كصيغ (الأفعال)، مثل دلالة (فَعَلَ) على مجرّد حدوث الفعل لمرة ، و(فَعَّلَ) على التكثير والتكرير، و(فاعَلَ) على المشاركة، وكذلك الصيغ الأخرى، مثل (فَعْلَلَ)، و(استَفْعَلَ) ..... وغيرها إذ لها دلالات معيّنة ، كالدلالة على الاضطراب والحركة الشديدة وطلب الشيء ..الخ وكذلك صيغ (الأسماء)، مثل (فَعِلٌ) للدلالة على المبالغة، و(فَعُولٌ) كذلك، و(فَعّال) للتكثير... وغيرها من صيغ ذات دلالات معيّنة ، ولنا ان نستشهد بطائفة من الصيغ الصرفية المتشابهة الاستعمال في التعبير القرآني :

١٠ . { آثِمٌ ، أَثِيم } : صفتان ورد استعمالهما في القرآن الكريم ليؤديا دلالة خاصة ، فالآثم هو اسم فاعل من (أثم) والأثيم للمبالغ في الإثم ، واستعمل الآثم لمن هو أقل منه في الإثم .

فقد استعمل التعبير الكريم الآثم لمن ارتكب إثما معينا مقصورا على شيء معين ، قال تعالى : { وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } .

أما الأثيم : فهو المبالغ في الإثم كما جاء في قوله تعالى : { وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } . فذكر من صفاته أنه كثير الحلف مهين وأنه يهمز الناس ويعيبهم ويمشي بالنميمة بين الناس وأنه يمنع الخير عنهم ويعتدي عليهم ويستهزئ بآيات الله فإنه إذا تليت عليه الآيات قال أساطير الأولين .

ولا شك أن كل واحدة من هذه الصفات يكون صاحبها أثيما فكيف إذا جمعها كلها .

٢ . { ظَلُومٌ ، ظَلَّام } كلتاهما من صيغ المبالغة غير أنه استعمل (ظلوم) للإنسان على العموم ، قال تعالى : { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } .

وأما (ظلام) فقد خصها ربنا بنفي الظلم عن نفسه وكل مواضع ورودها متعلقة بنفي الظلم للعبيد ، قال تعالى : {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } . وقد جاء هنا بصيغة المبالغة (ظلام) الدالة على التكثير لأنه علقه بالعبيد وهم كثر ، فناسبت الكثرة اللفظية الكثرة المعنوية .

٣ . { فَاعِلٌ ، فَعَّالٌ } ورد استعمال مفردة (فاعل) في القرآن الكريم مرة واحدة وهو قوله تعالى : { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا } ووردت (فعال) في موضعين هما {إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ } وقوله : {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} .

فجاء باسم الفاعل للشيء الواحد فقال : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ) وجاء بصيغة المبالغة للشيء الكثير فقال : (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) وتعبير (ما يريد) عام يشمل جميع ما يريد .

ثانياً : ملاحظة (علوم القرآن) المختلفة المتعلقة بالنص الكريم المراد تحليله، من أجل فهمه فهمًا سليمًا متكاملاً، والرجوع إلى (علم أسباب النزول) على نحو الخصوص لأنه الأداة الكاشفة عن الدلالة القرآنية المقصودة ، من حيث إن علم سبب النزول يلقي ضوءًا على النص المراد تحليله، ويكشف عن الظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت به عند نزوله .

كما ينبغي الإشارة ها هنا إلى أن وظائف علوم القرآن بالنسبة لمحلل النص القرآني كوظائف أصول الفقه بالنسبة للفقيه ؛ فكما أن الفقيه يوظف علم أصول الفقه ويجعله أداة للوصول إلى عملية الاستنباط الفقهي ؛ فكذا الحال بالنسبة لمحلل النص الكريم ؛ فانه يجعل من علوم القرآن أدوات يوظفها لأجل فهم النص الكريم ومعرفة مقاصده ؛ وعليه فيكون هدف محلل النص الكريم هو الكشف والبيان عن المقاصد الإلهية بوساطة هذه الأدوات .

ولأجل ما تقدم ذكره؛ وحتى تتضح وظائف علوم القرآن بالنسبة لمحلل النص القرآني نستشهد بالاستدلال التفسيري الآتي ذكره :

_ قال تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) . فهاتان الآيتان إذا فُسرتا على الظاهر من دون النظر في سبب نزولهما فتقتضيان أن عموم الكفرة لا ينفع معهم إنذار ؛ ولا يمكن أن يؤمنوا ؛ وأنهم جميعاً مختوم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ومغشي عليها ؛ وأنهم جميعاً مستحقون العذاب العظيم ؛ والواقع أن كثيراً من الكفار قد دخلوا الإسلام وانتفعوا بالإنذار ؛ فالاستدلال المذكور مخالفٌ للواقع وهذا إشكالٌ واضحٌ .

ولكن إذا وقف محلل النص الكريم على سبب نزول هاتين الآيتين – الذي يُعدُّ أداة موصلة إلى معرفة مقصد التعبير الكريم– يزول هذا الإشكال ويتبين له أن المراد بهما أشخاصاً معنيون من الكفرة قد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون؛ لذا كان لأصحاب الاتجاه التحليلي للنص القرآني وقفة مع هاتين الآيتين، فقد ورد في سبب نزولهما – على الأشهر– أنهما قد نزلتا في أبي جهل وخمسة من أهل بيته .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : إن النص الكريم قد جاء بتعبير (الذين كفروا) المتضمن معنى التخصيص وقصد منه تحقق الكفر على جماعة خاصة ، ولم يقل : (الكافرين) فلو جاء بالتعبير الثاني لشمل الكافرين جميعاً وهو ما يأباه صريح القرآن وصحيح المأثور .

ثالثا : ملاحظة أثر النص القرآني الكريم في دقة استعمال غريب الألفاظ، كاستعمال مفردة الـ(صكَّ) للضرب الشديد، بدل (ضرب) كما في قوله تعالى { فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}، في قصة امرأة إبراهيم ، مستغربة بذلك ومتعجبة من خبر حملها بولد، وهي عجوز عقيم، وغير ذلك من استعمالات دقيقة في التعبيرات القرآنية .

رابعاً : بيان عظمة القسم وأهميته والكشف عن الرابطة الوثيقة بين لمقسم به والمقسَم عليه، فحينما يقول القرآن الكريم : { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } ويعد هذا القسم الطويل يقول : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } فهناك علاقة بين هذه الظواهر الكونية وبين هذه النفس ؟ وهذه العلاقة تدل أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون من اجل الإنسان، وغيرها من الآيات التي يقسم بها ربنا سبحانه وتعالى في الليل كقوله: { وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ } { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى } ...الخ، ومن هنا نعلم بأن هناك علاقة بين ما يقسم به ربنا تعالى وما يقسم عليه ، ثم أن القسم بهذه الظواهر الطبيعية من قبل الله تعالى تنبيها إلى أهميتها وعظمتها وعلينا أن ندرس تحولاتها وندرس طبيعتها .

ومن لطائف التعبير القرآني أنه إذا ذكر الأقوام بعد القسم بالأوقات يناسب بين القوم وبين ما يُقسم به من وقت . فمثلاً قال : {وَالْفَجْرِ} ولما ذكر الفجر قال بعدها { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ } وعاد من أوائل من سكن الدنيا بعد نوح. ولما أقسم بالضحى { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا } قال بعدها { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا } لأن ثمود بعد عاد والضحى بعد الفجر. فهنالك مناسبة بين القسم بالوقت وبين الأقوام التي يذكرها ، فإذا ذكر الأقوام فهي مناسبة للوقت الذي يقسم به كمحطة في تاريخ البشرية .

التعريف بمصطلح النص في دراسة القران الكريم

معنى النص:

يعرف نص بانه :مجموعة الجمل و الأفكار التي تتحدث عن موضوع واحد وهو بخلاف الجملة، فالجملة –سواء أكانت أسمية أو فعلية– هي عبارة عن فكرة جزئية متقطعة من موضوع كقولنا: العلم نور، والصلاة نجاة.... الخ

وهي على نوعين :أسمية وفعلية. فألاسمية منها ما بدأت باسم مرفوع كالامثلة المتقدمة – والفعلية ما بدأت بفعلٍ أو اسم منصوب كقولنا:علياً ضرب محمد.

اذن: النص عبارة عن موضوع واحد تتدرج تحته مجموعة من الجمل وكل جملة عبارة عن فكرة واحده فاذا ما اجتمعت هذه الأفكار حول موضوع معين سميت نصاً.

بعبارة أخرى: تن (النص) هو مجموعة الأفكار التي تعبر عنها الجمل في موضوع معين على نحوٍ حسنٍ من التنسيق والتأليف.

فسورة الفاتحة– مثلا عبارة عن نص واحد لان موضوعها واحد، وكذلك سور الإخلاص والكافرون والقدر.... ونحوها من السور التي سلكت موضوعاً واحداً.

فاذا تعدد الموضوع في داخل السورة الواحدة أصبحت السورة تحمل في داخلها عدة نصوص، وهذا ما نجده – على سبيل المثال مع سورة طارق، فاذا قال تعالى في موضوعه الأول:

" والسماءِ والطارقِ. وما أدراك ما الطارقُ. النجمُ الثاقبُ. أن كل نفسٍ لما عليها حافظ"

وهذا النص تجسد فيه موضوعاً واحداً هو الحديث عن الرقابة الإلهية.

أما النص الثاني فيبدأ من قوله تعالى:" والسماءِ ذات الرّجعِ. والارضِ ذات الصَّدْعِ. أنه لقولٌ فصل. و ما هو بالهزل. انهم يكيدون كيداً. وأكيد كيداً. فمهل الكافرين أمهلهم رويدا"

وموضوع هذا النص يتحدث عن حجية واستدلال النص الأول. وللسائل أن يسأل عن الجمل التي فصلت بين النصين وهي قوله تعالى:

"فلْينظُرِ الانسانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ من ماء دافق. يخرج من بين الصَّلب والترائب. انه على رجعه لقادر. يوم تُبلى السرائر. فما له من قوةٍ ولا ناصر"

فنقول: هذه جمل افتراضية جاءت لربط السبب بالنتيجة ولبيان موضوع النص الأول، وكأنه سبحانه بهذه الآيات يريد أن يقول للإنسان أنا خالقك وانا القادر على أرجاعك مرة أخرى. أفلا استطيع مراقبة أفعالك وحركاتك؟ بلى أنا قادر على ما أريد.

نستنتج مما تقدم: أن تعدد النصوص مرتبط بتعدد الموضوعات فكل نص عبارة عن موضوع وكل موضوع عبارة عن نص ، فلا موضوع بلا نص ، ولا نص بلا موضوع. وكذا الحال مع الجملة فهي عبارة عن فكرة، ولأفكره بلا جملة، ولا جملة بلا فكرة .ولابد من التفريق بين الفكرة والموضوع: فمثلاً القران الكريم تارة يتحدث عن الصلاة كموضوع كما في سورة الجمعة :"يا أيها الذين امنوا اذا نويِ للصلاة من يوم الجمعة..... الخ"

وهذا هو نص مستقل بنفسه، وتارة يتحدث عن الاحكام الشرعية على نحو عام ويدرج الصلاة بضمنها وبهذا تكون الصلاة فكرة جزئية من

موضوع النص وهي تندرج في دائرة الحديث عن الاحكام الشرعية، ففي النص الأول من سورة البقرة الذي يتحدث عن صفات المتقين نجد ان القران الكريم قد تحدث عن الصلاة فقد قال في وصف المتقين بانهم: "يقيمون الصلاة" فهنا تحدث عن الصلاة بوصفها فكرة من مجموعة أفكار تضمنها النص وهي صفة من مجموع صفات المتقين التي ذكرها النص ، بخلاف الحديث من الصلاة في سورة الجمعة حينما قال: "أذا نُودِيَ للصلاة ..." فهنا أفرد الصلاة كموضوع مستقل، ناهيك عن ان الموضوع يتكون من مجموعة من جمل بخلاف الفكرة التي عبارة عن جملة واحدة والقضيه نفسها تتكر مع أمور أخرى، فالزكاة مثلاً:نجد أن القران الكريم تاره يتحدث عنها كفكرة من مجموعه أفكارة تضمنها النص، كأن يكون الحديث عن الاحكام الشرعية، وبهذا الحال تكون الزكاة فكرة جزيئة من مجموعه احكام تضمنها النص.

التعريف بعناصر تماسك النص القرآني

يحصل الربط بين جمل النص ومقاطعه بجملة من الوسائل المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها. ومرد هذا الاختلاف تنوع العلاقات الداخلية للنص. لذلك فمن الربط ما يتم بوسائل دلالية او معنوية مثل التكرار والاستبدال وغيرهما ومنه ما يتم بوساطة أدوات معروفة، مثل الواو والفاء وثم وغيرها.

اذ تحكم النص بجملة عناصر لفظية من أدوات وحروف والفاظ تناولتها الدراسات اللغوية، وقد يوظف عنصر من هذه العناصر للربط والتماسك، ويراعى في ذلك النسق اللفظي الذي يعبر عنه بالمطابقة، ومن اهم تلكم العناصر هي:

١- الإحالة:

تعد الإحالة من اهم الوسائل التي تحقق للنص التحامه وتماسكه. وذلك بالوصل بين أواصر مقطع ما، او بالوصل بين مختلف مقاطع النص.

والاحالة نوعان: إحالة مقامية، باعتبار ان اللغة تُحيل دائماً الى أشياء وموجودات خارج النص، واحالة نصية. وهي التي تحيل فيها بعض الوحدات اللغوية على وحدات أخرى سابقة عنها او لاحقة لها في النص.

لأن كان النوع الأول ضرورياً ليكون النص منسجماً مع مقامه وهو ما يحقق له المقبولية، فإن النوع الثاني أكثر أهمية باعتباره أحد اهم وسائل الاتساق الداخلي للنص.

وتأتي أهمية ظاهرة الإحالة في التعامل مع النصوص من وجود بعض العناصر اللغوية التي لا تكتفي بذاتها في دلالتها، مما يجعل من الضروري العودة الى ما تشير او تحيل اليه من اجل تأويلها. يطلق اللغوين على هذه الوحدات اللغوية تسمية "العناصر الاحالية" ومن هذه العناصر الضمائر ومرجع الضمير منه –على سبيل المثال لا الحصر– ما جاء في قوله تعالى: "ذلك الكتاب لا ريب فيه" فقد وظف (الهاء) من (فيه) للربط بين جملة (لا ريب) وجملة (ذلك الكتاب).

ومرجع الضمير كثير في النصوص القرآنية ومنها قوله تعالى: " في قلوبهم مرض" وقوله تعالى: " ألا انهم" وقوله تعالى: " فما ربحت تجارتهم..." ونحوها من الاستعمالات. ومن هذه العناصر ايضاً الإشارة نحو قوله تعالى:" ذلك الكتاب لا ريب فيه..." وقوله تعالى:" أولئك على هدى من ربهم....".

والاسماء الموصولة نحو قوله تعالى:"الذين يؤمنون بالغيب..."

وقوله تعالى:"إن الذين كفروا..." ونحوهما.

٢- التكرار:

يجسد التكرار شكلاً من اشكال الترابط المعجمي على مستوى النص. ويتمثل في تكرار لفظ او مرادف له في الجملة. ومنه-على سبيل المثال لا الحصر- مفردة (تبَّ) في سورة المسدّ قوله تعالى:" تبت يدا ابي لهب وتبَّ" فقد كان لهذا التكرار اثر في تماسك الجمل وربط الآية بعضه ببعض.

ونحو قوله تعالى:" ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم . . ." فقد أدى التكرار لحرف الجر (على) وظيفة الربط بين أجزاء الآية الواحدة، وكذا الحال في تكرار عبارة (الذين) في قوله تعالى:" الذين يؤمنون . . ." وقوله تعالى:" والذين يؤمنون . . ." الآية (٤) من سورة البقرة.

٣- الاستبدال:

يتمثل الاستبدال- كوسيلة من وسائل التماسك النصي- في تعويض عنصر بعنصر آخر. وهو يتم على المستوى النحوي والمعجمي داخل النص. ويختلف عن الإحالة في ان هذه الأخيرة تقع على المستوى الدلالي، كما انها احياناً تحيل على أشياء خارج النص.

كما يتميز الاستبدال عن الإحالة ايضاً، في ان معظم حالاته قبلية، وذلك ان العلاقة بين الكلمات فيه تكون بين عنصر متأخر وعنصر متقدم.

واما الاستبدال الذي يتم على المستوى النحوي، فهو يتمثل في لجوء المتكلم او الكاتب الى استعمال تركيب نحوي بدل تركيب

آخر. ونذكر كمثال على ذلك الآية رقم(٦٠) من سورة البقرة:" وقيل اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً" لقد حصل الاستبدال هنا بتعويض جملة الطلب(وهي من المفروض: فضرب الحجر بعصاه...) بجملة أخرى(فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً). وترتبط هذه الجملة بالجملة المحذوفة بعلاقة سببية اشير اليها في السابق.

٤- الحذف:

الحذف ظاهرة نصية لها دورها هي ايضاً في انسجام النص والتحام عناصره. وشرطه في اللغة ان "لا يتم الا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة، كافياً في أداء المعنى. وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية او مقاليه تومئ اليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره".

٥- الوصل:

يختلف الوصل اختلافاً تاماً عن بقية وسائل التماسك النصيّ التي سبق الكلام عنها، من حيث انه يصل وصلاً مباشراً بين جملتين او

مقطعين في النص. وتأتي أهمية الوصل من كون النص عبارة عن مجموعة من الجمل او المتواليات المتعاقبة، وانه لابد لكي تدرك كبنية متماسكة، من توفر أدوات رابطة تفرض كل نوع منها طبيعة العلاقة بين الجمل.

ويطلق اللغوين على هذه الأدوات تسمية" الأدوات المنطقية" وذلك لدورها في تحديد أنواع التعالق بين الجمل، ولإسهامها كذلك في بناء النص بناءً منطقياً.

كما ينعت الربط بهذه الأدوات بأنه خطي لأنه يصل بين الجمل في تواليها. ويفيد احياناً مجرد الترتيب ومثاله الربط بواو العطف في اللغة العربية، ومنه–على سبيل المثال لا الحصر– ما جاء في فاتحة الكتاب قوله:" إياك نعبد وإياك نستعين" فقد وظفت الواو هنا لتحقيق التماسك النصي بين الجملتين.

وقد ورد العطف في مواضع عديدة منها قوله تعالى في سورة البقرة "ويقيمون الصلاة" وقوله وتعالى :"ومما رزقناهم" وقوله:" والذين يؤمنون" وقوله:" وما أُنزل من قبلكَ. . . ." الخ من المواضع.

دراسة أساليب النص القرآني

الأسلوب القرآني: هو طريقة التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار الفاظه، ولقد تواضع العلماء قديماً وحديثاً على ان للقرآن اسلوباً خاصاً به مغايراً لأساليب الغرب في الكتابة والخطابة والتأليف.

ولقد ابرز علماء العربية ميزات للأسلوب القرآني اختص بها من بين سائر الكلام، فمن هذه الميزات:

ميزات الأسلوب القرآني:

أولاً: المرونة والمطاوعة في التأويل:

نجد في الأسلوب القرآني مرونة في التأويل ومطاوعة على التقليب بحيث لا يدانيه أسلوب من الأساليب، وهذه المرونة تجعله واسع الدلالة سعة المورد الذي تزدحم عليه الوفود ثم تصدر عنه وهي ريّانة راضية.

وهذه المرونة من أسباب خلود القرآن فإن الأساليب العربية عراها كثير من التغير والتلوين اللفظي والذهني، ومع ذلك فإن القرآن بقي خالداً

بأسلوبه المتميز وبخصائصه الفريدة يتجدد مع العصور وظل رائع الأثر على ترامي الأجيال الى هذه الأيام والى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: اعتماد الأسلوب القرآني الطريقة التصويرية في التعبير:

من السمات البارزة للأسلوب القرآني هو اعتماده الطريقة التصويرية للتعبير عن المعاني والأفكار التي يريد ايضاحها وسواء كانت معاني ذهنية مجردة او قصصاً غابرة، او مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات.

ان الأسلوب القرآني يحملنا الى أجواء الصور وكأنه ينظر في تفصيلات الصورة المجسمة امامه، وكأن المشهد يجري امامه حيّاً متحركاً. ولا شك ان الفكرة او المعنى الذي يراد ايضاحه يكون أقرب الى الفهم وأوضح الى الذهن مما لو نُقل المعنى مجرداً من تلك الصور الحية، ويكفي لبيان هذه الميزة ان نتصور هذه المعاني كلها في صورها التجريدية ثم نقارنها بالصورة التي وضعها فيها القرآن الكريم. فمثلاً:

معنى النفور الشديد من دعوة الايمان: إذا أردنا ان نتصور هذا المعنى مجرداً في الذهن يمكن ان نقول: انهم ينفرون اشد النفرة من دعوة

الايمان فيتملّى الذهن وحده معنى النفور في برودة وسكون، ولنمعن النظر في الأسلوب القرآني وهو يصوّر لنا هذا المعنى في هذه الصورة الغريبة

"فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرّت من قسورة" المدثر: ٤٩-٥١

فتشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال وانفعال السخرية وشعور الجمال: السخرية من هؤلاء الذين يفرون كما تفر حمر الوحش من الأسد لا لشيء الا لأنهم يدعون الى الايمان، والجمال الذي يرتسم في حركة الصورة حينما يتملاها الخيال في إطار من الصورة التي نُقلت اليه وفي تضاعيفها الاستهزاء بالمعرضين.

لقد شبه الله تعالى فرار الكافرين عن تذكرة النبي –صلى الله عليه وسلم– كفرار حمر الوحش من الأسد لا لشيء الا لأنهم يدعون الى الايمان، انظر اخي الى جمالية هذا التشبيه الرائع الذي لا يصدر الا عن اله عالم بخبايا النفس الإنسانية طبعاً هذا التشبيه له عدة مدلولات منها شدة فرارهم من النبي وسخرية من سلوكهم غير المبرر.

ثالثاً: طريقة الأسلوب القرآني المتميزة في المحاجة والاستدلال:

لقد أورد القرآن الكريم من افانين القول في سياق محاجّة الكفار وتصحيح زيغ المحرّفين والوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه ما يخرج عن طوق البشر الإحاطة بمثل هذه الأساليب في أوقات متقاربة او متباعدة، فالنفس الإنسانية لا تستطيع التحول في لحظات عابرة في جميع الاتجاهات بل تتأثر بحالة معينة، ولا تستطيع التحول عنها الى اتجاه معاكس الا ضمن بيئة ملائمة.

اما الأسلوب القرآني فيلاحظ فيه الانتقال في شتى الاتجاهات في لحظات متقاربة متتالية، واحياناً تكون مترادفة. فمن مشرّع يقر الدساتير والأنظمة في تؤدة واناة ورؤية، الى وعيد وتهديد لمن يرغب عن التشريعات ويريه سوء المصير، الى غافر يقبل توبة العبد اذا تاب واناب الى معلم يعلم كيفية الالتجاء الى الخالق سبحانه وتعالى بأدعية لا تخطر على البال، الى مقر لحقائق الكون الكبرى ومن مرئيات الناس ومألوفاتهم والتدرج بهم الى اسرار سنن الله في الكون.

خصائص الأسلوب القرآني

الخاصة الأولى:

مسحة القرآن اللفظية فإنها مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً يسترعي الاسماع ويستهوي النفوس يطريقة لايمكن ان يصل اليها اي كلام آخر من منظوم ومنشور ونريد بجمال القرآن اللغوي تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم وبيان ذلك انك اذا استمعت الى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات هذا ينفر وهذا يصفر وهذا يخفي وذاك يظهر وهذا يهمس وذاك يجهر الى غير ذلك مما هو مقرر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد ومن هنا يتجلى لك جمال لغة القرآن.

الخاصة الثانية:

جودة سبك القرآن وإحكام سرده ومعنى هذا ان القرآن بلغ من ترابط اجزائة وتماسك كلماته وجملة آياته وسوره مبلغاً لا يدانيه فيه اي كلام آخر مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد وآية ذلك اذا تأملت في القرآن الكريم وجدت منه جسماَ كاملاً تربط

الاعصاب والجلود والاغشية بين اجزائه ولمحت فيه روحاً عاماً يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين اعضائه فاذا هو وحدة متماسكة متآلفة.

الخاصة الثالثة:

براعته في تصريف القول وثروته في افانين الكلام ومعنى هذا انه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة بمقدرة فائقة خارقة تنقطع في حلبتها انفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء فألفاظ الوجوب مثلاً مرة يستعمل لفظ اكتب واخرى اقم وثالثة آتو وهكذا في النهي فيصرف الالفاظ لمعنى واحد وتجري هذه الطريقة على العديد من المعاني.

الخاصة الرابعة:

جمع القرآن بين الإجمال والبيان مع انهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان في كلام واحد للناس بل كلامهم اما مجمل واما مبين لان الكلمة اما واضحة المعنى لاتحتاج الى بيان واما خفية المعنى تحتاج الى بيان ولكن القرآن وحده هو الذي انخرقت له العادة فتسمع الجملة منه واذا هي بينّة مجملة في آن واحد.

الخاصة الخامسة:

قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى ومعنى هذا انك في كل من جمل القرآن تجد بياناً قاصداً مقدراً على حاجة النفوس البشرية من الهداية

الإلهية دون ان يزيد اللفظ على المعنى او يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق ومع هذا القصد اللفضي البريء من الاسراف والتقتير تجده قد جلى لك المعنى في صورة (رائعة متكاملة وافية بالمراد).

تحليل جمل النص القرآنية

النص القرآني بناء محكم متماسك يفيد معنى محدداً، قال تعالى في مطلع سورة هود، عن القرآن الكريم:

"الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" هود:١

والجملة كيان (قواعدي) خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب، وقد يكون للجملة القرآنية التي تحمل معنى عاماً او خاصاً شبكة من العلاقات بعدد من جمل السورة، وبعدد آخر من جمل تشاركها في موضوع عام في القرآن كله، فيتعين على المحلل ان يكتشف الروابط الفكرية بين جمل السورة وان كانت خافية في اللفظ.

ويتطلب تحليل جمل النص القرآنية جملة من المرتكزات العلمية:

١- الوقوف على نوع الكلمة اولاً: (اسماً، فعلاً، حرفاً) لان الالمام بها يبين موقع الاسم ووظيفته والعامل فيه، والحرف يربط الاسماء بالافعال بحيث يتضح تماسك النص وترابطه.

٢- تحديد نوع الفعل تعدياً، لزوماً، ومعرفة نوع المتعدي، لاننا نعرف من خلال إدراك التعدي واللزوم اركان الجملة.

٣- تحديد نوع الاسم هل هو علم ام مصدر واذا كان علماً فما موقعه من الجملة واذا كان مشتقاً فما فروعه وما عمله في تركيبه وجملته.

٤- تحديد الحرف والوقوف على كونه مختصاً وغير مختص ثم تحديد عمل المختص وذلك يقتضي الالمام بجميع انواع الحروف وعملها في جملتها.

٥- دراسة ما يتعلق باركان الجملة سواء أكانت اسمية ام فعلية وهذا يتوقف على دراسة المبتدأ واقسامه والخبر وانواعه وحكم الرتبة وما يتصل بقضايا الحذف الجائز والواجب وكذلك ما يتعلق بانواع المفعولات الخمسة:

(به، له، معه، فيه، مطلق) وكذا قضايا الرتبة والحذف.

٦- الالمام بكل النواسخ النحوية بعامة انواعها سواء أكانت نواسخ حرفية ام نواسخ فعلية وكذا النواسخ الاسمية، وعمل كل ناسخ.

٧- ضرورة الوقوف على ما يسميه النحاة بالاستعمالات النحوية في اللغة العربية كاستعمالات (مَنْ، وما، ولا، وإن، وأن، وحتى، والفاء) وذلك باب واسع من ابواب النحو العربي.

٨- دراسة كل اساليب اللغة العربية وهي زهاء ثلاثين أسلوباً مثل: (اسلوب المدح والذم، والاغراء والتحذير، والندبة، والنداء والاستغاثة، والتعجب، والتفضيل، والنفي، والاستثناء، والاشتغال والتنازع والتوكيد بنوعيه اللفظي والمعنوي، واسلوب الترخيم، ونحوهما مما له صور وأنماط متعددة في التراكيب النحوية)

٩- لا بد من نظريتين عند التحليل النحوي:

أ- نظرة إفرادية جزئية فرعية تتناول كلمات النص كلمة كلمة.

ب- نظرة تركيبية كلية شاملة تتناول إعراب الجمل وقضايا نحو النص وضوابطه.

١٠- الاكثار من التوقف امام النص وقراءته جيداً والوقوف على معانيه بدقة لان الاعراب فرع المعنى.

بيان الأساليب البنائية للنص القرآني

ان ادراك الوحدة البنائية يساعد على حسن القراءة والترتيل ودقة التلاوة ثم استقامة الفهم. كما ان الوحدة البنائية ركن منهاجي وليست مجرد فضيلة تضاف الى فضائل الأسلوب القرآني التي لا تحصى.

وقد أردنا هنا بـــ "وحدته البنائية" انه بكل سورة وآياته واجزائه واحزابه وكلماته يعّد كأنه جملة واحدة.

واما وصفنا لهذه " الوحدة" بـــ البنائية" او إضافة هذه " الوحدة" الى " البنائية" فقد اردنا به الإشارة الى ما يدل عليه قوله تعالى:" كتاب احْكِمَتْ آياتُه ثم فصّلت من لُن حكيم خبير" هود :١

فالأحكام هنا من احكام البناء. بحيث يمتنع أي اختراق له لمتانته وقوته. ويدل عليه او يدل له قوله تعالى: فينسخ الله ما يُلقِي الشيطان ثم يحكِمُ الله آياته" الحج:٥٠

بحيث يمتنع على الشيطان ان يبلغ شيئاً منها، فهي لتطمين البشرية ان هذا القرآن محفوظ ومغلق بإحكام امام كل محاولات الاختراق.

اذن فالوحدة البنائية للقرآن أي ان هذا القرآن المجيد واحد لا يقبل بناؤه واحكام آياته التعدد فيه او التجزأة في آياته، كما لا يقبل التناقض او التعارض وغيرهما من عيوب الكلام. فهو بمثابة الكلمة الواحدة او الجملة الواحدة او الآية الواحدة، واذا كانت قد تعددت آياته وسوره واجزاؤه واحزابه، فذلك التعدد ضرورة لا غنى عنها في التعليم والتعلم والتنزيل لتغيير الواقع وابداله.

وحدة الســـــورة:

يقول الامام الرازي:".... من تأمل في لطائف نظم السور وبديع ترتيبها عَلِمَ ان القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه، فهو- ايضاً- معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته..." ويقول الامام-ايضاً-:".... أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط....".

ومن هنا نجد ان الوحدة البنائية ليست مزّية تتحلى بها كل سورة لوحدها وبحسبها فقط، بل هي قضية قائمة بالقرآن كله، فالقرآن- كله- كالكلمة الواحدة، والجملة الواحدة في كل سوره واجزائه

يتسع حتى يصبح كوناً يعادل الكون كله بل يستوعبه ويضّمه تحت جناحيه ويَدِق حتى تراه كأنه كلمة واحدة.

دراسة تطبيقية
على بعض السور القرآنية

سورة العصر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

صدق الله العلي العظيم

أولاً : التحليل النحوي لجمل النص :

- الجملة الأولى : القسم (والعصر) متعلّق بفعل محذوف تقديره (أقسم) .

- الجملة الثانية : (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) .

- الجملة الثالثة : (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) .

- الجملة الرابعة : (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) .

- الجملة الخامسة : (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) .

ثانياً : الموقع الجغرافي للسورة :

هذه السورة وقعت بين خُسرين ، الخسر الأول الذين ألهاهم التكاثر في السورة التي قبلها، فهؤلاء في خُسر حتى زاروا المقابر ، والخُسر الثاني في سورة الهمزة التي بعدها ، أي : الذي جمع مالاً وعدده حتى نبذ في الحُطمة ، فالخُسر الأول رؤية الجحيم (لترون الجحيم) والخُسر الآخر النبذ في الحطمة (كلا لينبذن في الحطمة) .

إذن هذه وقعت بين خسرين خُسر الذي ألهاه التكاثر حتى زار المقابر ، وخُسر الذي جمع مالاً وعدده حتى نبذ في الحطمة ، ثم إن هذا الترتيب هو طبيعي بحسب السبق يعني رؤية الجحيم قبل الدخول، يراها ثم يدخل فذكر رؤية الجحيم في سورة التكاثر ثم ذكر نبذه في الحطمة في سورة الهمزة، إذن أول مرة رأى ثم نُبذ وهذا ترتيب طبيعي بحسب السبق. والطريف أن سورة التكاثر التي رأى فيها الجحيم سُبقت بسورة القارعة التي يكون فيها الناس كالفراش المبثوث هذه قبل الرؤية قبل رؤية الجحيم، إذن ترتيبها أنهم كانوا كالفراش المبثوث ثم رأوا الجحيم ثم نبذوا في الحطمة. في القارعة يكون الناس كالفراش المبثوث ثم رؤية الجحيم ثم النبذ في الحطمة فهي إذن مرتبة ترتيباً بحسب السبق. ووقعت سورة العصر بين خسرين الخسر المذكور وخسر قبلها وخسر بعدها وهذا تناسب عجيب .

ثالثاً : الدلالة السياقية لمفردات السورة وتراكيبها :

١. دلالة القسم بـ(العصر) في هذه السورة ؟

جوابه نقول : إن من معاني العصر هو الدهر (العصور) هذا لغة ، وربنا تعالى أقسم بالدهر لأنه الشاهد على ما أقسم عليه (إن الإنسان لفي خسر) والدهر هو أكبر شاهد، فالعصر هو أكبر شاهد على ما أقسم عليه وهو أن الإنسان لفي خسر إلا هؤلاء الفئات المستثنون . فإن شئتم أن تعلموا ذلك فاسألوا الدهر لأنه خير شاهد على ما أقسمت عليه . فهو الشاهد على أن الإنسان في خسر إلا هؤلاء الأصناف ، فلا شك أن الدهر والزمن والتاريخ هو شاهد دقيق على ما أصاب الإنسان غير المؤمن .

٢. ولماذا لم يقسم تعالى بوقت آخر كالفجر أو الضحى في هذه السورة مع أنه أقسم بها في مواطن أخرى؟

الجواب : أنه لو أقسم بها لم تكن مرحلة للاستشهاد . فبالفجر ليست هنالك مرحلة للاستشهاد به لأن الناس ما زالوا في أول الزمن فليس هنالك شاهد، أما العصر فيعني : أن هنالك فترة زمنية مرّت توجب للاستشهاد ، وقيل أنها وقت صلاة العصر وهذا من معانيها . وصلاة العصر بحد ذاتها تعطي معنى أن أي إنسان من الصباح إلى المساء يوجد لديه وقت كافي يمكنك من التعرف على حقيقته، وحتى لو افترضنا ان المقصود من العصر زمن النبي -صلى الله عليه واله- فحقيقة الأمر أن المدة من أول الدهر إلى زمن عصر النبي كافية للاستشهاد فيها ووقع فيها من أحداث أي هي مدة كافية للاستشهاد ، أما لو اقسم بالفجر الفجر فإن الناس لم يستيقظوا فكيف يكون الزمن شاهداً عليهم ، وكيف يكون دليلاً على الاستشهاد بأنهم في خسر ، إذن ليست هنالك مدة كافية تدل على الاستشهاد ، ولو قال الضحى أيضاً نفس الشيء لم تكن هنالك مدة كافية للاستشهاد، الفجر أول النهار والضحى بدايته ، كذلك المغرب، فالمغرب غروب الشمس إذن غروب الحياة وزوال الدنيا فما الفائدة من الاستشهاد ؟ لقد غربت الدنيا وذهب الجميع والناس ذهبوا إلى الحساب فما الفائدة من الاستشهاد؟ لذلك أنسب وقت للقسم والاستدلال هو العصر لانها مدة كافية من أول النهار إلى ما قبل الغروب للدلالة على ما يفعله الإنسان في هذا العمر الطويل والملاحظ في التعبير القرآني أنه إذا ذكر الأقوام بعد القسم بالأوقات يناسب بين القوم وما يُقسم به . مثلاً قال (والفجر) لما ذكر الفجر قال بعدها (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) وعاد من أوائل الدنيا بعد نوح. لما أقسم بالضحى (والشمس وضحاها) قال (كذبت ثمود بطغواها) لأن ثمود بعد عاد والضحى بعد الفجر. هنالك مناسبة بين القسم بالوقت وبين الأقوام فإذا ذكر الأقوام فهي مناسبة للوقت الذي يقسم به كمحطة في تاريخ البشرية كلها. فإذن العصر بمعنى الدهر وبمعنى وقت صلاة العصر وكلاهما مراد لأن العصر هو أحسن شاهد على الإنسان وما أحدث فيه من خسارة .

٣- كيفية التفريق بين (الخسر، الخسار، الخسران) في القرآن الكريم ؟ .

جوابه : الخُسر يستعمل لعموم الخسارة أو مطلق الخسارة فكل إنسان هو في خُسر قليل أو كثير كل مؤمن يرى أنه خسر شيئاً كان يمكن أن يستزيد منه ولم يستزيد. هذا الخُسر. أما الخسار فلم يستعمله القرآن إلا للزيادة في الخسارة، إذا كان واحد خاسر وزاد في الخسارة يسمى خسار لذلك لم يستعمل القرآن هذه الزيادة يسميها خسار يعني ما زاد من الخسر فوق الخسارة هذه الزيادة يسميها (خسار) . كما في قوله تعالى (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) فـ(خسار) هذه

يستعملها في الزيادة فقط (وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا) أما (الخسران) فهو أكبر الخسارة وأعظمها كقوله (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) فهنا لم يخسر شيئاً بسيطاً أو زيادة إنما خسر الدنيا والآخرة إذن الخسر مطلق الخسارة والخسار هو الزيادة في الخسارة والخسران أعظم الخسارة . فالخسار زيادة الألف على الخُسر لما زاد في الخسار زاد الألف ولما زاد الخسران زاد الألف والنون. وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، إذن الخسر هو البداية والخسار فوقها والخسران أعظمها .

٤. لم كرر التعبير الكريم الفعل (تواصوا) فقال : (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ولم يقل مثلاً : وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ ؟.

جوابه : إن هذا التكرار للأهمية أولاً ، وللفصل ثانياً ، وهو آكد من (تواصوا بالحق والصبر) وآكد من (تواصوا بالحق وبالصبر) (بذكر الباء وعدم ذكر الفعل) فالتكرار في القرآن ليس مجرد تكرار فحسب وإنما يحمل دلالة خاصة .

٥. كيف فرق القرآن الكريم بين (عملوا ، فعلوا ، صنعوا) ولم جاء بتعبير : (عملوا الصالحات) ؟ .

الجواب : الفرق بين (يفعلون) و (يعملون) و (يصنعون) ودلالتها في القرآن الكريم يتمثل في :

أولاً : يفعلون :

الفعل قد يكون بغير قصد ويصلح أن يقع من الحيوان أو الجماد .

ومنه قوله تعالى : (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به)(يا أبت افعل ما تؤمر)

ثانياً : يعملون :

في الأكثر فيه قصد وهذا مختص بالإنسان . ومنه قوله (فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)

ثالثا : يصنعون :

الصنع هو أخص ويحتاج إلى دقة . قال تعالى : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) .

زيادة على ما تقدم : فإن الفعل عام يقع من الإنسان والحيوان والجماد ، والعمل : أخص من الفعل ويكون بقصد ولذلك قلّما يُنسب إلى الحيوان ، إجادة الفعل وهو أخص من العمل ، وأما الصنع : فهو لا ينسب إلى حيوان ولا ينسب إلى جماد وليس كل عمل صنع حتى تحسن العمل قال تعالى : (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) ، وقال : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) .

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

صدق الله العلي العظيم

أولا : محور السورة وموضوعها العام :

الإعلام بتمام الدين، اللازم عن مدلول اسمها النصر، والإشارة إلى فتح الفتوح الأعظم فتح مكة المكرمة، وانتصار النبي ﷺ على المشركين، وانتشار الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية وانحسار ظلمة الشرك والوثنية، والإخبار بدنو أجل النبي ﷺ، وأمره بتسبيح ربه وحمده واستغفاره عند الفتوحات، وفي كل حين[٣].

ثانيا : مناسبتها للسورة التي قبلها (سورة الكافرون) :

مناسبتها لما قبلها، أنه لما ذكر في السورة السابقة اختلاف دين الرسول صلى الله عليه واله الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه أشار في هذه السورة إلى أن دينهم سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة .

ثالثا : جمل السورة وأفكارها الجزئية :

- الجملة الأولى : (إذا جاء نصر الله والفتح) وهي جملة فعلية ، وفكرتها أنها تتحدث عن البشارة الغيبية التي ستتحقق للنبي والمسلمين بفتح مكة والإخبار القرآني بها .

- الجملة الثانية : (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) وهي جملة فعلية ، وفكرتها تتمثل في دخول الناس في دينك، وانضوائهم تحت لوائك جماعات لا أفرادا كما كان في بدء أمرك وقت الشدة .

- الجملة الثالثة : (فسبح بحمد ربك واستغفره) وهي جملة فعلية ، وفكرتها أي إذا أتممنا لك كل ذلك ، فنزّه ربك وقدّسه عن أن يهمل الحق، ويدع للباطل أن يتغلب عليك ، واسأله أن يغفر لك ولمن اتبعك من أصحابك لما كان منهم من القلق والحزن والأسى لتأخر مجيء النصر .

الجملة الرابعة (إنه كان توابا) وهي جملة اسمية وفكرتها أي أنه سبحانه كثير القبول لتوبة عباده لأنه يربي

[illegible]

النفوس بالمحن، فإذا وجدت الضعف أنهضها إلى طلب القوة، وشدّ عزيمتها حتى تبلغ الفتح وتحقق النصر .

السرّ في أن لفظة (جاء) لم تأتِ في القرآن إلاّ بهذه الصيغة، بخلاف لفظة (أتى) فقد جاء الماضي منها والمضارع والأمر ، فقد جاء في القرآن (أتى، يأتي، ائتِ، يأتون، فأتنا، فأتوا) بخلاف اللفظة الأخرى التي لم تأتِ في القرآن إلاّ بصيغة المضي ولا مراء في أن لفظة (يأتي) أخف من لفظة (يجيء) فهذا فارق بينهما يتعلق بالجانب الإيقاعي، بيد أن هذا الفارق لا يكاد يُذكر أمام الفروق المعنوية بين اللفظتين، فقد اختصت كل واحدة منهما بمعاني لا تشاركها الأخرى فيها، يدل على هذا الأمر استعمال القرآن لهاتين اللفظتين في مقامات متعددة، وفي سياقات مختلفة، ومن خلال استقراء لتلك المقامات، والنظر في تلك السياقات تتبين بعض الفروق بين هاتين اللفظتين.

ومن هذه الفروق ما يلي :

١. أن لفظة (جاء) تأتي – غالباً – مع الأعيان والأمور المشاهدة المحسوسة، بخلاف لفظة (أتى) فإنها تأتي مع المعاني المعنوية التي لا تُشاهد، يدل على هذا أمثلة كثيرة من كتاب الله، ومن ذلك قوله { ولمن جاء به حمل بعير ... } [يوسف : ٧٢] ، يعني صواع الملك؛ وهو عين، وقوله { وجاءوا على قميصه بدم كذب ... } [يوسف : ١٨] (٥)، ولهذا فرّق بينهما – سبحانه – في قوله { قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون } [الحجر : ٦٣ – ٦٤] فقد جاءت لفظة { جئناك } ؛ لأنها للعذاب وهو مشاهد، بخلاف { الحق } فليس مرئياً فجاءت معه لفظة { أتيناك } .

٢. ما قام به أحد الباحثين باستقراء مواضع كل من (جاء) و (أتى) في القرآن الكريم، وبعد نظر وتأمل لهذا الاستقراء في مواضعهما توصل إلى أن (جاء) لا تُستعمل في القرآن إلاّ دليلاً على القرب، سواء كان هذا القرب زمانياً أو مكانياً بخلاف لفظة (أتى) فإنها لا تُستخدم في القرآن إلاّ دليلاً على البعد، سواء كان هذا البعد، زمانياً أو مكانياً أو نفسياً، ثم ذكر بعد ذلك الشواهد الكثيرة من القرآن التي تؤيد ما ذهب إليه، ومن هذه الشواهد قوله { فأتتْ به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً } [مريم : ٢٧]، فقد أقبلت عليهم به من مكانها القصي البعيد، فعُبِّر عن ذلك بلفظة { أتت } ثم قالوا منكرين عليها بلفظة { جئت } ؛ لأنها حينما وصلت إلى قومها كان عيسى قريباً منهم، فقد كانت حاملته بين يديها، ومن الشواهد – أيضاً – قوله تعالى { وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن... } [يوسف : ٥٠] فقد جاءت – أولاً – لفظة { أتى }؛ بسبب ما بين مكان يوسف ومكان الملك من بعد؛ إذ كان يوسف في السجن، وما أبعد السجنَ عن قصر الملك، ثم جاءت – ثانياً – لفظة { جاءه }؛ وذلك لقرب يوسف وقتها من الملك، فقد كان ماثلاً بين يديه، ومن الأمثلة – أيضاً – على ذلك قوله – تعالى – في حديثه عن القرآن { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } [فصلت : ٤٢] فقد جاءت هذه اللفظة { لا يأتيه }؛ وذلك لبعد

٣. ومن الفروق بينهما : ما قام به أحد الباحثين – أيضاً – من استقراء لمواضع كل من (جاء ، وأتى) في القرآن، من خلال النظر في مواضعهما، والغرض الذي سيقتا له، مستصحباً معه دلالتهما، فبعد نظر وتأمل اهتدى إلى أن بين اللفظتين فوارق دقيقة تتضح بجلاء من خلال سياق كل واحدة منهما، وخلاصة هذا الفرق: أن (الإتيان) تحيط به ثلة من الغموض والشك والجهل وعدم القصد، في حين أن (المجيء) تحيط به ثلة من معاني العلم واليقين وتحقق الوقوع، ثم ذكر شواهده على ذلك من الكتاب العزيز، ومن ذلك ما ذكره – تعالى – في قصة موسى مع فرعون ، فإن فيها خير شاهد – كما يقول – على ما ذهب إليه من معنى الشك في (الإتيان)، واليقين في (المجيء) يقول تعالى : { فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون * فلما أتاها نُودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ...} [القصص : ٢٩ – ٣٠] ، ويقول في موضع آخر { إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون * فلما جاءها نُودي أن بُورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين } [النمل : ٧ – ٨] ، فقد جاء في الموضع الأول { فلما أتاها }، وفي الموضع الثاني { فلما جاءها }، وسبب هذه المغايرة اختلاف المقامين بين الشك واليقين، ففي سورة (القصص) سبق الإتيانَ شكٌ ورجاء، يدل على ذلك قوله { لعلي آتيكم } في حين سبق المجيءَ عزم ويقين في قوله { فلما جاءها }، ومن الشواهد على هذا – أيضاً – قوله – تعالى – { قال إنْ كنتَ جئتَ بآية فأت بها إن كنت من الصادقين } [الأعراف : ١٠٦] فالمجيء في الآية ذُكر في حق موسى ، وقد كان مستيقناً من هذه الآية، أما الإتيان بها فقد كان طلباً من فرعون على وجه التحدي، يدل على شك في نفسه كما يدل عليه قوله { إن كنت من الصادقين .

ومن الشواهد على مجيء كلمة (جاء) في الأمور المحقق وقوعها اليقينية قوله – تعالى – { وجاء ربك والملَك صفاً صفاً } [الفجر :٢٢] وقوله { وجيء يؤمئذ بجهنم...} [الفجر :٢٣]، وغيرها من الآيات التي تدل على هذا الأمر .

وقيل أيضا : إن الاتيان هو مجيء بسهولة بخلاف المجيء الذي يصطحبه شدة ومشقة ، فالقرآن الكريم يستعمل أتى لما هو أيسر وأخف من جاء يعني المجيء فيه صعوبة بالنسبة لأتى ولذلك يكاد يكون هذا طابع عام في القرآن الكريم ولذلك لم يأت فعل جاء بالمضارع ولا فعل الأمر ولا إسم الفاعل .

قال تعالى (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ) شديدة

وقال تعالى (فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى) شديدة أيضا

وقال تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) لم يقل (جاءك) الغاشية لأن حديث الغاشية أخف وأيسر من مجيء الصاخة والطامة .

وقال تعالى : (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) هذا أمر عظيم لأن نصر لا يأتي بسهولة وإنما بحروب ومعارك وقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) فهو نائم يمر عليه وهو لا يعلم، لم يكن شيئاً مذكوراً أي قبل وجوده لم يكن شيئاً مذكوراً ، وهنالك من قال لم يكن شيئاً لا مذكوراً ولا غير مذكور وقسم قال كان شيئاً و لم يكن مذكوراً كان لا يزال طيناً لم تنفخ فيه الروح ففي الحالتين لا يشعر بمرور الدهر فاستعمل أتى .

إذن الإتيان والمجيء بمعنى لكن الإتيان فيه سهولة ويسر أما المجيء ففيه صعوبة وشدة ويقولون السيل المار على وجهه يقال له أتيّ مرّ هكذا يأتي بدون حواجز لأنه سهل ((حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ))ليس هنا حرب (وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ) هذه فيها قتل .

٣. الفارق بين الرؤية والنظر وسر مجيء الفعل (رأى) بدلا من (نظر) في قوله : (ورأيت الناس ...) ؟

والفارق بين الاثنين : أن النظر طلب الهدى، والشاهد قولهم نظرت فلم أر شيئاً، وقال علي بن عيسى النظر طلب ظهور الشيء، والناظر الطالب لظهور الشيء والله ناظر لعباده بظهور رحمته إياهم، ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة بصره أو غيرها من حواسه ويكون الناظر إلى لين هذا الثوب من لين غيره، والنظر بالقلب من جهة التفكر والأنظار توقف لطلب وقت الشيء الذي يصلح فيه قال والنظر أيضا هو الفكر والتأمل لأحوال الأشياء ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لابد أن يكون مفكراً والمفكر على هذا الوجه يسمى ناظراً وهو معنى غير الناظر وغير المنظور فيه ألا ترى أن الإنسان يفصل بين كونه ناظراً وكونه غير ناظر، ولا يوصف القديم بالنظر لأن النظر لا يكون إلا مع فقد العلم ومعلوم أنه لا يصلح النظر في الشيء ليعلم ألا وهو مجهول، والنظر يشاهد بالعين فيفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي، وأخرى فإنه لو طلب جماعة الهلال ليعلم من رآه منهم ممن لم يره مع أنهم جميعاً ناظرون فصح بهذا أن النظر تقليب العين لخيال مكان المرئي طلبا لرؤيته، والرؤية هي إدراك المرئي، ولما كان الله تعالى يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صح أنه لا يوصف بالنظر.

الفرق بين النظر والرؤية: قيل: الفرق بينهما أن الرؤية هي : إدراك المرئي.والنظر : الإقبال بالبصر نحو المرئي. ولذلك قد ينظر ولا يراه، ولذلك يجوز أن يقال لله تعالى: إنه، راء ولا يقال: إنه ناظر.وفيه نظر .

فهل يفهم من هذا أننا حين نقول رأيت الشيء أي أدركته ببصري، بينما إذا قلنا : نظرت إلى الشيء أي تتبعته

سورة الكوثر

قال - تعالى -: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: 1 - 3].

سُورة الكوثر سُورة العَطاء والتَّكريم، والمقام الرفيع والتشريفِ للرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهي ثلاثُ آياتٍ قِصارٍ انتهَتْ بحرف الرَّاء حرف التكرار الذي يُوحِي بتكرارِ العَطاء، وتتابُع نُزول الخير، فاسمُ السورة (الكوثر)، وهو مُبالَغةٌ في الكثرة، فالعرب تُسمِّي كلَّ شيء كثير في القدر والحظ كوثرًا،

• بدأت السورة بأسلوبِ التَّوكِيد ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: 1] الذي يُوحِي بثُبوت ذلك العَطاء، وتأكُّده، وكثرته، وسَعته، وضَخامته، ونسبة العَطاء إلى الله تَكفِي؛ لأنَّ العَقل لا يتصوَّرُها بسبب كثرتها، وتنوُّعها وتعدُّدها، فقد أعطاه الله من الفَضائل والنَّعماء والخيرات ما لا يُدرِكُه العقل؛ أعطاه النبوَّة والكتاب، والحكمة وفصْل الخِطاب، والعلم، والشَّفاعة، والحوض المورود، والمقام، وكثرة المؤمنين، والتَّمكين والنَّصر على الأعداء، وكثرة الفُتوحات، وكل ما أعطاه الله لرَسوله من النِّعَمِ العِظام، والمنن الجِسام.

و"نا" في ﴿ إِنَّا ﴾ تفيدُ العظمة والكمال، والحديث بها يتأتَّى في الأمور الكبار، والنِّعَم الغِزار، فناسب الموقف، وسعة العَطاء استِعمال (نا) المفيدة للجمع الدال على التعظيم، فلم يقلْ: (إنِّي أعطيتك) كما قالها في مقامات أخرى: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: 12]، و﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾ [طه: 14].

• أعطيناك: صيغة ماضٍ، كأنَّه حدَث ووقَع، وفيه إيحاءٌ بالراحة الكاملة لنُزول العَطاء وتحقُّقه؛ حيث لم ترِدِ الآية بالمضارع (سنُعطِيك)؛ لأنَّ الوعد لما كان محقَّقًا عبَّر عنه بالوقوع والحدوث بالماضي؛ وذلك مُبالغةً وإدخالاً للسَّعادة على قلب الرسول، وإشعاره بأنَّ الإعطاء حاصلٌ لا ريب، واقعٌ فلا خوف.

وإسنادُ الفعل إلى (نا) الدالَّة على الفاعليَّة يُبيِّن شُموخ العَطاء، واتِّساع الفضْل، وعظم المنَّة، وكبر النِّعمة، كما أنَّ ضميرَ الخِطاب (الكاف) في ﴿ أَعْطَيْنَاكَ ﴾ ثوحِي بالتخصيص؛ فهو وحدَه الذي نالَ ذلك دُون سواه من سائر الأنبياء كأنَّه قال: ولم أُعطِ ذلك أحدًا من العالمين قبلَك ولا بعدَك، فأنت الذي اختصَصْت به ونزَل إليك دُون غيره، وتفرَّدت بالعَطاء.

الكوثر: مُعرَّف بـ"أل" العهديَّة أو الجنسيَّة: العهديَّة؛ أي: الكوثر المعهود الذي عرَفتَه وبشَّرك الله به، والجنسيَّة؛ أي: جنس الخير أُعطِيتَه، فكلُّ ما يتصوَّره عقلٌ أو يتخيَّله ذهنٌ قد نِلتَه وأخذتَه يا رسول الله.

والكوثر ليس نهرًا عاديًا، إنما هو نهرٌ خاصٌّ عبَّر عنه الرسول عندما قال: ((أتدرون ما الكوثر؟)) قلنا: الله ورسولهِ أعلم، قال: ((فإنَّه نهرٌ وَعَدَنِيه - عزَّ وجلَّ - فيه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ تَرِدُ عليه أمَّتي يوم القيامة، آنيتُه عددُ النُّجوم، فيختَلِجُ العبد - أي: ينتزع ويقتطع - منهم، فأقول: إنَّه من أمتي! فيُقال: إنَّك لا تَدرِي ما أحدَثَ بعدَك))؛ (رواه الترمذي).

وذهب أهلُ التفسير في تفسير الكوثر إلى ستَّةٍ وعشرين قولاً، الصحيح هو ما فَسَّرَه به رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - حيث قال: ((هو نهرٌ في الجنَّة، حافتاه من ذهبٍ، ومَجراه على الدرِّ والياقوت، تُربتُه أطيَبُ من المِسك، وماؤه أحلى من العسل)).

وفي الآية الأخرى التي تُبيِّن كثرةَ العَطاء، وأنَّه لا حَدَّ له: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: 5].

وفي الآية الأخرى التي تُبيِّن كثرةَ العَطاء، وأنَّه لا حَدَّ له: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: 5].

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: 2]: الفاء الفصيحة التي تُفصِح عن شَرْطٍ مقدَّر محذوف؛ أي: إنْ كنت قد عَلِمت ذلك، وتمثَّلته فصلِّ لربِّك، والأمر للنُّصح والتوجيه والإرشاد، وفيه كنايةٌ عن صفةٍ هي ودُّ الله لرسولِه، وحبُّه لنبيِّه، وفيها تعليمٌ لكلِّ مسلم أنْ يُتْبِعَ النِّعمةَ بالشُّكر، ويُعقِّب المنَّة بالصَّلاة والدُّعاء؛ ليستمرَّ العَطاء، ويتعدَّد نُزول النَّعماء.

و﴿ لِرَبِّكَ ﴾: تُوحِي بأنَّ الصلاة يجبُ أنْ تُخصَّص لله، فاللام للملكيَّة، وفيها توجيهٌ لنا بأنْ نتوجَّه بكليتنا إلى الله ونعمل كلَّ أعمالنا ابتغاءَ وجهه، ومجيء "رب" تُوحِي بالرعاية والعناية، والحدب، والحب، والإضافة للتشريف (ربك) فالمسلمُ يَشرُف بالانتساب لربِّه، والانتِماء لدِينه، والاعتِزاز بالاعتصام بحبْلِه.

﴿ وَانْحَرْ ﴾: أمرٌ للنُّصح والإرشاد، والواو تفيدُ الترتيب، فالنَّحر بعدَ الصلاة لا قبلَها، وإلا كان ذلك صَدَقةً، واستعمال الرَّاء يفيدُ تعداد النَّحر وكثرته واستِمراره، والنَّحر يختصُّ بالإبل وليس للبقر والغنم، ففيها الذَّبح لا النَّحر، وهي خِيار أموال العرب، وذلك شُكرًا له - جل جلاله - على ما أَوْلانا من الخيرات والكَرامات، وفي الآية كنايةٌ عن صِفةٍ هي التوحيد والإخلاص في سائر الأعمال والأقوال، فالصلاة لربنا وحدَه، والنَّحر لوجهه - جلَّ جلالُه - لا غيره، وفيها إيجازٌ بالحذف، (أي: وانحر لربك)، وحُذِفَ لدَلالة السِّياق عليه، ولِيَقْظَةِ المسلم وإدراكه بالغرَض الذي تُساق له الطاعات وتُقام له الصَّلوات.

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾: أسلوبُ توكيدٍ، تضمَّن وسيلتين: (إن، وضمير الفصل: هو)، ووُروده على هذه الشاكلة فيه دِفاعٌ عن رسول الله، فهو كِنايةٌ عن صفةٍ هي المحبَّة الخالصة من الله لرسوله، وودٌّ كامل له - عليه الصلاة والسلام - والشانئ المبغض، من الشَّنآن، وهو العَداوة والبُغض، والأبتر أفعل تفضيل من البتر، وهو القطع، فالأبتر المنقطع عن كلِّ خيرٍ، ويُقال لمن لا نَسْلَ له: أبتر؛ لأنَّه انقطَعَ نسلُه، ولَمَّا ماتَ القاسم ابنُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال العاصِ بن وائل: دَعُوه فإنَّه رجلٌ أبتر لا عَقِبَ له؛ أي: لا نَسْلَ له، فإذا هلَك انقطَعَ ذِكْرُه، فنزَلتِ السُّورة، وفي استعمال: (إن، والضمير: هو) إفادةُ الحصْر، ولعلَّ الطِّباق بين الكوثر (الخير الكثير)، والأبتر (الانقطاع عن كلِّ خيرٍ) يُبرِز المعنى، ويُقوِّيه، وفي الوقت نفسه فيها سجعٌ مُؤثِّر، فتكون الصُّورة على قلَّة كلماتها قد جمعَتْ فُنونَ البلاغة والبَيان والفَصاحة، والكمال والجلال، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

سورة الكافرون

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ **[الكافرون: 1 - 6].**

هي سورةٌ مكيَّة، آياتها ستٌّ، وتُعَدُّ سورة التوحيد والبراءة من الشِّرك والغِوايةِ والضَّلال؛ فقد طلَبتْ قريش من الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنْ يَعبُدَ

آلهتَهم سنةً، ويَعبُدوا إلَهَه سنةً، فقال: معاذ الله أن نُشرِك بالله شيئًا، فقالوا: فاستَلِمْ بعض آلهتنا نُصدِّقك ونعبُد إلَهَك، فنزلت السُورة، فغَدَا رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقامَ على رُؤوسِهم، فقرَأها عليهم، فأيسوا منه، وآذوه، وآذوا أصحابَه، كما يَذكُر الألوسي في "روح المعاني"، والقُرطبي في "جامعه".

قوله: ﴿ قُلْ ﴾ هو أسلوب إنشائي، نوعُه أمرٌ، غرضه النُصح والتَّوجيه، وفيه كنايةٌ عن صفةٍ هي الجرأة في الحق، ووجوب الإعلان عنه، والتصريح به، كما أنَّ فيه كنايةً عن صفةٍ هي صِدقُ الرَّسول فيما بلَّغ، وعدم كِتمانه شيئًا ممَّا أُمِرَ به، كما أنَّ فيها صَدْعًا بالحق، وعدم خِزي منه أو استِهانةٍ به، وفيه كذلك تعليمٌ للصَّفِّ المؤمن أنْ يقولَ الحقَّ، لا يَخشَى في الله لَوْمَةَ لائم، وأنْ يجعَلَه ديدَنَه في الحياة، يَنشُرُه ويَذُود عنه، ويموتُ في سبيله؛ لكَوْنه الأحقَّ بالحياة والحُكم والبَقاءِ.

﴿ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾: هذا أسلوبٌ إنشائيٌ، نوعه نداء، غرَضُه البَراءة من الكُفر وأهله، وفيه كنايةٌ عن صفةٍ هي أنَّه محروسٌ بالله، مَحُوطٌ بعَوْنِه، مشتملٌ على رِعايته، فينطقُ بالحق، لا يَخافُ من الباطل وأهله، والوُضوح سمةُ الداعية، وعِند احتِدام الأمر لا محلَّ للخَلط وحديث النِّفاق، وإنما لا بُدَّ من وُجود حُدودٍ فاصلةٍ، فمع أنهم سيغضَبُون من نسبة الكُفر إليهم، لكنَّه صَدَعَ به على ملأٍ منهم، وفي وُجود الخلق في المسجد الحرام، وفيه دليلٌ على أنَّه مأمورٌ بذلك من عِند الله، كما أنَّ في هذا النِّداء كنايةً عن صفةٍ هي عدم الخوف منهم، أو المبالاة بهم، وبطَواغِيتهم، وهكذا أهلُ الصِّدق ثابتو الجنان، مُطمئنُّو القلب؛

وهكذا أهلُ الصِّدق ثابتو الجنان، مُطمئنُّو القلب؛ بسبَبِ رعاية الربِّ سبحانه، كما أنَّ الخِطاب بهذا النِّداء إنما ورَد للتَّشنيع والتَّوبيخ على أهل مكَّة، واسم الفاعل (الكافرون) يحمِلُ الفعل ومَن قام به، وفيه النيَّة المبيَّتة للفعل، أو أنَّ "أل" موصولة، وهذا يعني أنهم كفَرُوا، واتَّخذوا الكفر مَنهَجًا وطَريقًا؛ ومن ثَمَّ وجبت البراءة منهم.

٠{ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }: (لا) تنفي الحال، فأنا لا أعبد إلهكم في الحال كما تطلبون إليَّ، فهي كنايةٌ عن صفةٍ هي التوحيد، والتبرُّؤ من عِبادة الأوثان والأصنام، وهي إلَهُهم الباطل، واستعمالُ المضارع المنفيِّ يفيدُ كمالَ البراءة واستِمرار الوَلاء لله، والتخلُّص من كلِّ شَوائب الشِّرك، وفيه كنايةٌ عن المسؤوليَّة الفرديَّة، فالهمزة في (أَعْبُدُ) تُبيِّن ضَرُورةَ تبرُّؤ كلِّ إنسانٍ من عَقائد الوثنيَّة، كما أنَّ استعمالَ (ما) في المعبود - وهي الدالَّة على غير العاقل - تُبرِزُ عدمَ اعتِرافِه به، أو إقراره بألوهيَّته، فهو في إطار ما لا يَعقِل، ومن ثَمَّ فلا حقَّ له في الألوهيَّة، كما أنَّ فيها خَلْعَ صِفات الإله من سمعٍ وحسٍّ وعقل واتِّزان، فهو أشبَهُ بِجَمادٍ عُبِّرَ عنه بـ(ما) الموضوعة لغير العاقل.

و٠{ تَعْبُدُونَ }: تدلُّ على دَيْمُومة عبادتهم له، واستمرار دُعائهم إيَّاه، مع أنَّه صنمٌ ووثنٌ، لا يعقلُ ولا حيلةَ له، ولا ينفع نفسَه فضلاً عن تقديم أيِّ لونٍ من النَّفع لسِواه، وفي الآية كناية سلب (لاَ أَعْبُدُ - تَعْبُدُونَ)، والضدُّ يُظهِر حُسنَه الضدُّ، نفي وإثبات لمادَّة لُغويَّة واحدة (عبد)، وفيها مقارنةٌ بين حَياتهم المتدنِّية، وعقيدتهم الفاسدة، وحياته السامية، وعقيدته الصحيحة، وبضدِّها تتميَّز الأشياء، إنها حياة الطُّهر والعَفاف والنُّور، وفي مقابل حياة الفُسوق

الطُّهر والعَفاف والنُّور، وفي مقابل حياة الفُسوق والخنا والظُّلمات.

﴿ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾: تأكيد وترشيح إلى أنَّ عُقولهم لا تصلُ إلى العبادة الحقيقيَّة والعقيدة الصحيحة الراسخة؛ فهو يعبُدُ الإلهَ الحقَّ، وهو اللَّه ربُّ العالمين، الحقيق بالسجود والأولى بالطاعة، وهم يَعبُدون أحجارًا وأشجارًا وأوثانًا لا تستحقُّ أنْ تُسمَّى معبودًا، فضلاً عن عِبادتها، وشتَّان ما بين عبادة الرحمن وعبادة الأوثان، والجملة الاسميَّة تفيدُ الثُّبوت والاستِمرار، كما أنَّ الفِعل المضارع (أَعْبُدُ) يُوحِي بسَلامة العلاقة، وحُسن الاتِّصال، ودَوام العبادة وصِدق الطاعة.